

"سعاد حسني" أخت القمر



عاشت سعاد حسني وماتت اسطورة، ومنذ أغواها ساحر الفن في المبتدأ لتهبط على أرضه وحتى تكسر جناحها وهوت في وادي الموت وهي كائن من عالم آخر تنجذب إليه الأرواح وتدور في فلكه، وفجأة يغادر تاركاً الجميع في عذابات الاسئلة .

نبئت في رحم منذور لإنجاب المواهب، لكنها كانت صفوة هذه المواهب جميعها وأجمل جملة خطها والدها وأهداها الى من سحرتهم، ولم تزل، يتنازعها البشر والمخلوقات الأسطورية، والمصريون والسوريون، والمثقفون وأولاد البلد، لكنها تأبى الانحياز الى فريق، فموهبتها أوسع من كل حدود، وأثرها أعمق من أية نظريات .

سعاد حسني كانت هبة الشتاء الذي ولدت فيه للأرض، فحنقت عليه بقية الفصول حتى ظفر بها الصيف في غفلة من حراسها وأذابها على اسفلت شارع لندني غامض فاستحالت دموعاً لم تفصح حتى اليوم عن موضع كعب أخيل الذي نفذ منه الفناء الى جسدها .

في حي الفوالة في القاهرة، كانت إطلالة سعاد محمد حسني البابا الأولى في 26 يناير/ كانون الثاني، 1943 والبعض يقول في 1942، لأب سوري كان أحد الخطاطين المهرة

والدها، وهو ابن المطرب السوري حسني البابا، تزوج مرتين بعد أن طلق والدتها التي تزوجت مرة أخرى وأنجبت من زوجها الثاني، وأثمرت هذه الزيجات المتكررة مواهب متعددة أشهرها الصوت الساحر نجاة الصغيرة

وأخت القمر كان أول عمل فني يقدم سعاد حسني على الجماهير وهي في عمر الثالثة، إذ أدت هذه الأغنية في برنامج إذاعي شهير اسمه مع بابا شارو كاشفة عن موهبة تتفتح وهي تردد في جنبات الإذاعة أنا سعاد أخت القمر، بين العباد حسني اشتهر

كان ترتيب سعاد حسني العاشر بين 17 أخا وأختا، وحينما بلغت سن الخامسة انفصلت والدتها جوهرة محمد حسن عن أبيها وتزوجت عبدالمنعم حافظ، وفي حضانتها بناتها الثلاث كوثر وسعاد وصباح . وكان الأب يخشى على بناته من الاختلاط، لذا لم يرسلهن إلى مدارس، لكن سعاد لم تستسلم لذلك وأخذت بمساعدة زوج أمها تتعلم ما تيسر لها . وكانت أختها سميرة تعلمها الرسم وزوجها أحمد خيرت يعلمها الموسيقى والغناء، وربما لم يدر بخلد هذه الأسماء التي تساعدنا أنها تتحلق حول بذرة مشروع فني ستجذب مع الأيام مزيدا من الأسماء التي تنذر نفسها لرعايتها والاهتمام بها

أول هذه الأسماء الشاعر الراحل عبدالرحمن الخميسي الذي اقترب من فلك سعاد الصغيرة بحكم صداقته لزوج والدتها .

كان الخميسي مغضوبا عليه من رجال العهد الملكي بسبب كتاباته الثورية، ولهذا كان من الطبيعي أن يأخذ مكانه في ظل حماية ثورة يوليو فانطلقت مواهبه بعدها ليطل على الناس ممثلاً وكاتباً موسيقياً ومخرجاً مسرحياً وسينمائياً وبدأ في تأسيس فرقته المسرحية

وبحكم ترده على منزل زوج والدته سعاد تعرف إليها وكان لقاءه بها نقطة تحول كبرى في حياتها، فاكتشف أن لديها حسا فنيا عاليا وموهبة بحاجة إلى من يصقلها فعهد إلى الفنان إبراهيم سعيان الذي كان مدرسا للغة العربية آنذاك . بتعليمها القراءة والكتابة وشاركتها في أداء تلك المهمة الفنانة إنعام سالوسة

انضمت سعاد حسني بعدها إلى فرقة الخميسي المسرحية وبدأت تتدرب على دور أوفيليا في مسرحية شكسبير هاملت، لكن مشروع الخميسي المسرحي توقف، فأتجه إلى كتابة قصة إذاعية بعنوان حسن ونعيمة، وفي العام التالي قرر أن يحول مسلسله الإذاعي إلى فيلم سينمائي ووجد في سعاد شخصية نعيمة بنت الريف المقهورة خاصة في مشاعرها فقرر . أن تكون بطلة الفيلم

ساعتها اتفق المخرج هنري بركات والمنتج الموسيقار محمد عبدالوهاب والخميسي على تقديم وجه سينمائي جديد ليشارك المطرب الصاعد، آنذاك، محرم فؤاد البطولة . وكانت سعاد وقتها نجمة صغيرة في برامج الأطفال الإذاعية، لكنها فجأة أصبحت أمام كاميرات السينما للمرة الأولى عام 1959 متسلحة بثبات وقدرة فائقة على التعلم والتأقلم

ومع عرض حسن ونعيمة ولدت نجمة أصبحت النموذج للفتاة العصرية الطموحة المنطلقة والمنفتحة على الحياة والعمل والحب . وبرزت سعاد حسني كممثلة جديدة تفوق ممثلات جيلها موهبة وحضوراً وقدرة على التعبير، إضافة إلى تميزها بالصدق في الأداء، والتلقائية في التعبير، وخفة الروح والجاذبية، فضلاً عن التنوع في الشخصيات التي

. قدمتها

كان التوقيت الذي ظهرت فيه سعاد حسني بالغ الأهمية في إكمال مسيرتها، فالمجتمع المصري بتغييراته العاصفة مع بداية عقد الستينات كان له رأي آخر في بطلات أفلامه . وكان الوقت نموذجياً في نظر كثيرين لظهور بطلات مثل نادية لطفي وزيزي البدراوي وليلى طاهر وبالطبع سعاد حسني التي جسدت فتاة العصر بكل أنماطها وتقلباتها وأفكارها التحررية .

في بداية مشوارها مع السينما، غلب على أدوار سعاد حسني شخصية الفتاة الطيبة والشقية ، وهي الشخصية التي كانت محبوبة لدى الجماهير

بعد فيلمها الأول، ظهرت سعاد حسني في دورين صغيرين في فيلمي ثلاث رجال وامرأة والبنات والصيف، ثم انتقلت سريعاً إلى الأدوار الأولى، في أفلام لقيت نجاحاً كبيراً، مثل مال ونساء، والسبع بنات، وإشاعة حب . وسعيها لتحقيق الانتشار الفني، قدمت سعاد حسني عدداً كبيراً من الأفلام متفاوتة المستوى، وكانت بطلة خمسة أو ستة أفلام كل عام، ففي 1961 قدمت ستة أفلام، وفي 1962 قدمت خمسة أفلام، وفي 1964 قدمت سبعة مثل السفيرة عزيزة، والأشقياء الثلاثة، وشقاوة بنات، وعائلة زيزي، والساحرة الصغيرة، وللرجال فقط، وجناب السفير

ورغم أن هذه الأفلام توجتها نجمة شباك وجعلت المنتجين يتهافتون عليها، إلا أنها لم تكن راضية عنها واعتبرتها أقل من طموحها الفني، فبدأت تدقق في اختياراتها وهي حريصة التنوع . وابتدأت مرحلة فنية جديدة في حياتها بفيلم القاهرة 30، و بدأ في هذه المرحلة سعيها نحو الأدوار الجادة التي تنم عن نضج كما ظهر في أفلام مثل الزوجة الثانية، وشيء من العذاب، ونادية، والحب الضائع

هذه الأدوار كانت طريقاً إلى نضوج أكبر في سبعينات القرن الماضي عززه العمل مع أبرز مخرجي هذه الفترة، فمع كمال الشيخ قدمت بئر الحرمان، وغروب وشروق، وعلى من نطلق الرصاص . ومع يوسف شاهين قدمت الاختيار، والناس والنيل وأخرج لها سعيد مرزوق فيلمي زوجتي والكلب، والخوف . وقدمت مع علي بدرخان، أحد أزواجها، أفلام الحب الذي كان، والكرنك، وشفيفة ومتولي، وأهل القمة، والجوع

وكان الفيلم الاستعراضى مرحلة مهمة أيضاً في مسيرة سعاد حسني استثمرت فيها بقية مواهبها بجانب التمثيل . وكانت أولى تجاربها الاستعراضية في فيلم صغيرة على الحب عام 1966 وأخرجه نيازي مصطفى

الجنسية أهم الجوائز

حصدت سعاد حسني خلال مسيرتها الفنية الكثير من الجوائز وكرمت أكثر من مرة عن العديد من أفلامها . ونالت لقب أحسن ممثلة في مهرجانات متعددة . ولعل أهم هذه الجوائز التي كانت تعبيراً بليغاً عن التقدير لها ولفنها هي الجنسية المصرية التي منحها لها الرئيس الراحل جمال عبدالناصر أواخر ستينات القرن الماضي . ومن أبرز جوائزها جائزة أحسن ممثلة في أول مهرجان للسينما المصرية عام 1971 عن دورها في فيلم غروب وشروق، وجائزة من وزارة الثقافة المصرية خمس مرات عن أفلام الزوجة الثانية وغروب وشروق، وأين عقلي والكرنك، وشفيفة ومتولي

ونالت جائزة أحسن ممثلة خمس مرات من جمعية الفيلم المصري عن أين عقلي والكرنك وشفيفة ومتولي وموعد مع العشاء وحب في الزنزانة، وكانت الأكثر فوزاً بهذه الجائزة على مدى عشر سنوات

وحصد فيلم الراعي والنساء أكبر عدد من الجوائز من مهرجان الإسكندرية وغيره من المهرجانات، كما تقاسمت سعاد حسني ويسرا جائزة أحسن من جمعية فن السينما عن الفيلم نفسه . ونالت جائزة أحسن ممثلة عام 1987 من وزارة الإعلام عن دورها في مسلسل هو وهي، وشهادة تقدير في عيد الفن عام 1979 من الرئيس المصري الراحل أنور السادات لعطائها الفني المتميز .

وتجربتها الثانية، والأهم، فيلم خللي بالك من زوزو عام 1972 مع المخرج حسن الإمام . هذا الفيلم حقق نجاحاً جماهيرياً كبيراً، وحطم الأرقام القياسية في مدة العرض، إذ استمر عرضه عاماً كاملاً مدفوعاً بالحضور الطافي لبطلته . التي تمثل وترقص وتحب وتبكي وتتأثر لكرامتها وتغني واحدة من أشهر أغنيات الأفلام يا واد يا تقييل

وعندما حاول حسن الإمام استثمار هذا النجاح في فيلم أميرة حبي أنا لم يكتب له النجاح نفسه، لكنها واصلت تجربتها الاستعراضية بفيلم المتوحشة عام 1979 مع المخرج سمير سيف وكان الفيلم أول إنتاج لسعاد حسني مع رأفت الميهي وصلاح جاهين، ولم يلاق أيضاً النجاح المنشود . ومع بداية الثمانينات، قل نشاط سعاد حسني السينمائي مع تغير شروط اللعبة الفنية وسيادة النمط التجاري الباحث عن الربح من غير استناد إلى أية قيمة فنية

وكان مفترضاً أن تعود إلى السينما بفيلم استعراضي، لكنها حين بدأ التجهيز لفيلم الدرجة الثالثة، توفي أستاذها الأهم وفيلسوفها صلاح جاهين، فدخلت في مرحلة حزن شديد غيبتها عن بروقات استعراضات الفيلم التي لم تصور بعد . وأمام إصرار المنتج على اكتمال التجربة، استسلم المخرج شريف عرفة وجهاز الفيلم للعرض وجاء دور سعاد حسني . فيه باهتاً، خاصة مع غياب الاستعراضات وفشل العمل فشلاً ذريعاً زاد أحزانها فأثرت البعاد

وبعد ثلاث سنوات استعادت سعاد حسني ألقها المعهود حين أقنعها علي بدرخان بالظهور في آخر أفلامها الراعي والنساء وقدمت فيه درساً بليغاً في الأداء الرصين الممتزج بالعذوبة والدفاء والشجن وكأنها كانت تودع جمهورها . وفي ظلال مسيرتها السينمائية، قدمت سعاد حسني مسلسل هو وهي مع أحمد زكي، و8 مسلسلات إذاعية

وبعد مرض دام عشر سنوات وأخفاها عن العيون، جاءت الصدمة من لندن التي كانت شرفاتها مسرحاً لنهايات بعض المصريين، لكن أحداً لم يتوقع أن تكون سعاد حسني التي علمت أجيالاً حب الحياة من بينهم

قيل إنها انتحرت يأساً من شفاء لا يجيئ وهرباً من جحود، ورفض محبوها هذه النظرية ورجحوا قتلها . وأياً كان الأمر، فالحقيقة الدامغة أن أخت القمر غابت يوم الخميس 21 يونيو/حزيران 2001 بعد خروجها من المصحة التي تعالج فيها . بيوم واحد

في ظهيرة هذا اليوم، قطع التلفزيون المصري إرساله ليعلن أن السندريلا هوت من الطابق السابع من مبنى ستيوارت . تاور وتوفيت في الحال

وأمر الرئيس المصري حسني مبارك بإتمام إجراءات نقل الجثمان إلى القاهرة على نفقة الدولة، لكن الشرطة البريطانية نقلت الجثة إلى مستشفى وست مينستر لاعتقادها وجود شبهة جنائية . وبدأت التحقيقات مع صديقتها نادية يسري التي استضافتها في شقتها وأكدت أن سعاد انتحرت لسوء حالتها النفسية . وبعد خمسة أيام أفرجت شرطة سكوتلاند يارد عن الجثمان وسلمته إلى السفارة المصرية، بعد أن استبعدت وجود أي شبهة جنائية، ولا يزال سيناريو السقوط لغزاً .

في واحد من أحاديثها المهمة، قالت سعاد حسني إنها كانت من أشد المعجبين بشخصية الرئيس جمال عبد الناصر، مؤكدة تأثيره الإيجابي الكبير في حياتها، إذ كانت تشعر بأبوته لها، وتراه سندا عظيما لكل أبناء الشعب المصري، فهو نصير الفقراء والمدافع عن حقوقهم وصاحب الكاريزما السياسية والشخصية المهيبة . تأثرت سعاد بنكسة يونيو/حزيران وعزفت عن العمل لسنوات، ولكنها لم تستسلم وعادت مرة أخرى لتمارس نشاطها الفني وانضمت إلى قافلة النجوم التي تسهم في مشروع المجهود الحربي الذي قاده كل من أم كلثوم وعبدالحليم حافظ لدعم القوات المسلحة والخروج بمصر من كبوتها . ولعل وجود أستاذها الأول صلاح جاهين في طليعة المدافعين عن الحلم المصري وتأييد الثورة كان يرسخ قناعتها بدور الفنان في دعم وطنه

زيجات

قيل الكثير عن زواج سعاد حسني من عبدالحليم حافظ، وأكدته مقربون منهما، لكن الأمر لم يحسم حتى الآن . والثابت هو زواج السندريلا أولا بالمصور السينمائي والمخرج صلاح كريم الذي تعرفت اليه في فيلمها المغامرون الثلاثة، واستمر هذا الزواج لمدة عام أخرج لها خلاله فيلم الزواج على الطريقة الحديثة، ثم انفصلت عنه لتتزوج من المخرج علي بدر خان بعد أن تعارفا أثناء تصوير فيلم نادية الذي أخرجه والده أحمد بدر خان . واستمر زواجهما منذ أوائل 1970 وحتى أواخر 1980 وأخرج لها أثناء زواجهما أفلام الحب الذي كان، والكرنك، وشفيفة ومتولي وأهل القمة، وبعد الانفصال أخرج لها الجوع، والراعي والنساء

وتزوجت بعده من زكي فطين عبدالوهاب ابن الفنانة ليلى مراد والمخرج فطين عبدالوهاب، واستمر هذا الزواج عدة أشهر، ثم تزوجت السيناريسست والصحافي ماهر عواد الذي قدمت معه فيلم الدرجة الثالثة